الفصل الخامس
من ثمرة التربية الصالحة

● لا جَرَمَ أن المتأمل فى عطاء تلك النخبة المباركة من الدعاة والمفكرين الراشدين المخلصين لرسالة التوحيد والشريعة السمحة لا يمكنه تفسير عطائهم المبارك فى حقل الدعوة والتبليغ والذود عن حياض الإسلام ورد مفتريات خصوم الحق وجنود الشيطان والطغيان إلا بالصدق والإخلاص والبركة، إنهم مباركون محفوفون برعاية الله مشمولون بعطفه ولطفه وتوفيقه وتأييده.

– بهذا وبهذا فقط يمكن تفسير ذلك العطاء المبارك وذيّاك التوفيق وتلكم النجاحات فى حقول الإنجاز وبلوغ الغايات والتأثير فى عقول شعوب الأمة ووجدانها برغم تنائى الديار وتباعد الأسفار وتباين الأقطار. ومن ثمَّ يرفع الله ذكر تلكم الكوكبة من الرجال النابهين المجددين لحيوية الدين الباعثين روح اليقظة والقوة فى كيان الأمة على مختلف الأصعدة وعبر رحلة الزمان والسنين.

● وليس من شك أن للتربية الإيمانية الأولى فى سني الطفولة والصبا والفتوة أعظم الأثر وأجل الخطر فى توجيه طاقات الإنسان لخدمة وتوجيه السلوك نحو الرشاد واكتشاف المواهب ورعايتها وتنميتها والإرتقاء بها حتى تؤتى أعظم ثمارها وأقصى إمكاناتها؛ ولقد وضع الإسلام منهجاً سديداً يكفل تحقق غايات التربية المثالية والواقعية فى آن واحد؛ حيث ضمن لأبنائه وأتباعه أن يكونوا بتلك التربية الإيمانية خير أمة أخرجت للناس، وجعلهم شهداء على البشرية هُداة للأمم ومنارات للسلام والتقدم وتحقيق الإنسانية الحقة للإنسان الحائر وسط الفلسفات المادية التى تكرس ضياعه وعبثيته ولا تساعده على فهم معنى الحياة وغاية الوجود، الأمر الذى يترتب عليه نشوب الحروب حروب الهيمنة وإعلاء عقيدة القوة المتغطرسة واستلاب الأمم الضعيفة وعبادة القوة وفرض الأمر الواقع دون وجه

حق، كما هو حاصل الآن فى ظل الهيمنة الصهيوأمريكية وعربدة القوة وتهديد وجود الأمة الإسلامية والوطن العربى!!

● وتُعنَى التربية الإسلامية كما يقول فضيلة الدكتور محمد سيد أحمد المسير بالطفل: قبل ميلاده حيث يحث الإسلام على اختيار كل من الأب والأم على أساس الدين والخلق كى يتوفر للطفل بيئة صالحة وقدوة طيبة، قال عليه الصلاة والسلام: تنكح المرأة لأربع لمالها وجمالها ولنسبها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك » (رواه البخارى) وقال: «إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة وفساد كبير» (رواه الترمذى).

– ويلفتنا داعيتنا المبارك إلى ما شرعه الإسلام من حقوق الطفل فى تحسين اختيار اسمه والاحتفال بمقدمه بعمل وليمة فى اليوم السابع من مولده يدعى لها الأصدقاء والأقارب ويأكل منها الفقراء، ويؤكد على الهَدْى الإسلامى فى حسن رعاية الطفل بالرضاعة الطبيعية لأهميتها فى التنشئة الصحية والعاطفية لبنيان الطفل الجسمانى والروحانى، وينبه إلى رحمة الإسلام بالطفل وتدليله وتقبيله ثم القيام على تأديب الطفل فى السبعة الثانية من عمره بعد السبعة الأولى التى تقوم على الملاطفة والرعاية حيث يؤمر الأطفال بالصلاة لسبع سنين وضربهم عليها، لتركها لعشر سنين ويلفت إلى فضائل توجيه الصبى إلى الوضوء والصلاة، لما ترسخه من قيمةٍ وتؤصله من عادات ومبادئ الطهارة والنظافة واحترام الوقت والنظام وتنشئته على الفضائل ومكارم الأخلاق وتساعده على تكوين شخصيته الاجتماعية بمشاركته فى الجمع والجماعات والأعياد والتعرف على المؤمنين الصالحين.

● وينبه الرجل (بارك الله عليه) على اشتمال التربية الإسلامية والتوجيه الإيمانى على التربية الرياضية وأدب تناول الطعام والحديث مؤيداً ذلك ما اشتمل عليه الهدى النبوى الشريف ومن ذلك ما رواه البخارى رضى الله عنه « أنّ الرسول ﷺ مرَّ على نفر من (أسلم) ينتضلون (يرمون) على سبيل المسابقة فقال: ارموا

بنى إسماعيل فإن أباكم كان راميا وأنا مع بنى فلان فأمسك أحد الفريقين بأيديهم، فقال ﷺ ما لكم لا ترمون؟ فقالوا: يا رسول الله نرمى وأنت معهم؟!! فقال ارموا وأنا معكم كلكم.

– وفى أدب الطعام وأدب المائدة يروى شيخنا هذا الحديث عن عمر بن مسلمة قال: كنت غلامًا فى حجر رسول الله ﷺ فكانت يدى تطيش فى الصفحة فقال لى الرسول ﷺ: يا غلام سم الله، وكل بيمينك وكل مما يليك «كذلك ينبه الشيخ إلى أدب الإسلام فى تربية الأطفال على الاستئذان داخل الأسرة فى الأوقات الثلاثة التى حددتها الآية الكريم فى قوله جل شأنه: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلاثَ مَرَّاتٍ مِّن قَبْلِ صَلاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلاةِ الْعِشَاءِ ثَلاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ** ﴾ [النور: ٥٨]

– وفى السبع الثالثة من عمر الفتى نبه ﷺ إلى صحبة الفتى المراهق ومصادقته من قبل الأب وكذلك الحال مع الأم والفتاة حيث يمر الفتى أو الفتاة بمرحلة المراهقة وهى مرحلة التحولات الجسدانية والنفسانية الكبير التى ترهق الإنسان وتحتاج إلى المعالجة الحكيمة من الآباء والأمهات وهى التى أوصى بها الإسلام ليكون الفتى أو الفتاة أقرب ما يكون إلى الأبوين لتمرَّ هذه الفترة من حياة الإنسان بسلام، وذلك بالصحبة والصداقة التى تكسب الفتى أو الفتاة الثقة بالنفس والصدق فى تناول تجاربهم وصداقاتهم وتفتح الباب لتساؤلاتهم واكتسابهم القيم الاجتماعية واكتشاف المجتمع والتعرف على قيمه بالتزاور والرحلة والصحبة إلى دروس العلم وبيوت الله واللهو البرئ والمراقبة عن بعد ومساعدتهم على الاستقلال بشئونهم. واعتمادهم على أنفسهم.

● ويبارك الله فى عطاء شيخنا الداعية الدكتور المسير فيصدر المؤلفات الكثيرة فى مجال الدرس التخصصى لطلابه ولجمهور الدارسين والأدباء والمتأدبين لتشتمل على ترشيد العقائد وتصويب الأفكار وهداية الخلق والتوعية بقضايا

الأمة فضلا عن أحاديثه المذاعة مسموعة ومرئية ومحاضراته وخطبه وكتاباته فى الصحف وإجابته استفسارات السائلين المتفقهين فى أمور الدين عبر المذياع أو من خلال الهاتف فضلا عن مشاركته فى المؤتمرات العلمية والفقهية والدعوية والسياسية فى مناصرة قضايا أمته العربية والإسلامية فى مختلف العواصم العربية والإسلامية، ثم قيامه على تحقيق مؤلفات والده الشيخ الدكتور سيد أحمد المسير. رحمه الله تعالى – الذى كان أستاذًا للتفسير والحديث ورئيسا لقسم الدعوة بكلية أصول الدين بجامعة الأزهر بالقاهرة، ومن تلك المؤلفات التى حققها الداعية الابن لوالده الشيخ:

١ – السنة مع القرآن.　　٢ – السنة المطهرة.

٣ – إلزام القرآن للماديين والملليين.　　٤ – دراسات قرآنية.

– أما مؤلفات الشيخ الدكتور محمد سيد أحمد المسير فهى:

١ – فى نور العقيدة الإسلامية　　٢ – أدب الحديث عن الله.

٣ – علم التوحيد للشهادة الإعدادية الأزهرية. هذا **(فى مجال العقيدة)**

وفى مجال الفلسفة له:

١ – الروح فى دراسات المتكلمين والفلاسفة.

٢ – المجتمع المثالى فى الفكر الفلسفى وموقف الإسلام منه.

وفى مقارنة الأديان:

١ – المدخل لدراسة الأديان　　٢ – أصول النصرانية فى الميزان

٣ – أوربا والنصرانية.　　٤ – المسيح ورسالته فى القرآن.

٥ – عبادة الشيطان فى البيان القرآنى والتاريخ الإنسانى.

وله فى الفرق الإسلامية:

١ – قضية التكفير فى الفكر الإسلامى

٢ – الحوار بين الجماعات الإسلامية.

٣ – مقدمة فى دراسة الفرق الإسلامية.

وله فى السيرة النبوية:

١ – الرسول فى رمضان.
٢ – الرسول حول الكعبة.
٣ – الرسول والوحى.
٤ – الرسول وقضايا المجتمع.
٥ – الرسول والموافقات.

وله فى الشريعة الإسلامية:

١ – محاورة تطبيق الشريعة.
٢ – نحو دستور إسلامى.
٣ – أخلاق الأسرة المسلمة.

● وقد سألته عن أبرز الدعاة الذين أخذ عنهم وتأثر بهم فأجابنى يقول: والدى – رحمه الله تعالى – فقد كان أستاذًا للتفسير والحديث ورئيسًا لقسم الدعوة فى كلية أصول الدين – جامعة الأزهر بالقاهرة. قضى حياته كلها فى خدمة القرآن والسنة والدعوة إلى الله تعالى، وبناء الشباب على قيم الإسلام، وكان – رحمه الله تعالى – على سيرة السلف الصالح، فلم يهتم بمظهر ولم يعبأ بجاه، ولم يتملق كبيرا، واعتز بإسلامه وأزهريته اعتزازا لا يُضارع، حتى قال: لو كان لى من الأبناء عشرة ما علمتهم إلا فى صحن الأزهر القديم ...، وكان يردّد كثيرا قول الله تعالى: ﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ**﴾ وكان رحمه الله تعالى – يتلوها (هكذا) وقال – أى مفتخرًا – إننى من المسلمين، ودعاؤه الضارع إنما هو دعاء عباد الرحمن: ﴿**رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا**﴾ [الفرقان: ٧٤]

– ويمضى الشيخ فى حديثه النَّدىّ عن والده فيقول: «وفى بيته كان يتولى شئون نفسه رغم ما أصيب به من فقد بصره بعدما جاوز الخمسين من عمره، وقال يومئذ: الحمد لله الذى جعلنى لا أرى منكر النساء العاريات الكاسيات.

وعندما عاد من رحلة الحج إلى البيت سألناه بماذا دعا لنا؟

فقال (وكان شديد الشوق لهذه الرحلة) : (من كان له حبيبٌ فليدع له بالحج) .

● وبعدُ : فليس بمستغرب أن يقصَّ علينا داعيتنا المبارك الدكتور المسير بُرهان تأثره بوالده – رحمه الله تعالى – بهذا الحماس له وذلك الإعجاب به وتلكم العاطفة المشبوبة بالوفاء والإقبال عليه، إذ لا يكون الأمر كذلك إلا إذا حَسُنَتْ تربية الوالد فكان الابن ثمرة تربية صالحة وصار قرة عين لوالده تحقيقا لدعوة عباد الرحمن ﴿ **رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا** ﴾ فكان الداعية الابن الأستاذ بجامعة الأزهر دعوة مستجابة لوالده الداعية الشيخ الأستاذ بجامعة الأزهر أيضا (رحمه الله رحمة واسعة)، كما كان شاعر الإسلام الفيلسوف الدكتور محمد إقبال تحقيقًا لرؤيا صالحة رآها أبوه الصالح الشيخ محمد نور محمد وقَصَّها فقال إنه « رأى فيما رأى النائم حمامةً بيضاء ناصعة تقع فى حجره وتسكن إليه » وفسرت الرؤيا لأبيه أنه سيُرزق ابنًا عظيم الجد والإقبال فكان الطفل المبارك هدية السماء ورحمة الله محمد إقبال الذى يحكى عن أثر تربية والده عليه فيقول : « يرجع الفضل فى كل ما أنشأته من شعر أو نثر إلى توجيهات أبى رحمه الله فقد كنت تعودت أن أقرأ القرآن بعد صلاة الصبح وكان يرانى والدى فيسألنى : ماذا أصنع؛ فأجيبه بأننى أقرأ القرآن، وظل على ذلك ثلاث سنوات متتاليات يسألنى سؤاله فأجيبه : بأنى أقرأ القرآن، وفى ذات صباح قلت له بعد إجابتى . ولكن لماذا يا أبى تسألنى عن شئ أنت بجوابه عليم؟ فقال « إنما أردت أن أقول الله يا بنى : اقرأ القرآن كأنه نزل عليك، ومنذ ذلك اليوم بدأت أتفهم القرآن وأُقبلُ عليه، فكان من أنواره ما اقتبست، ومن بحره ما نظمت » [1] .

---

(١) الأعلام الخمسة للشعر الإسلامى – محمد حشن الأعظمى والصاوى على شعلان تحقيق مصطفى غالب – مؤسسة عز الدين – بيروت / لبنان .

● ومما يبرهن على الأثر الكبير فى تربية الآباء لأبنائهم التربية الصالحة فيجنُون أطيب الثمار فى نجاح الأبناء وصلاحهم ونبوغهم فى المستقبل ما يحيكه إقبال أيضا فى ديوانه «أسرار خودى» أن (أسرار الذات) والمترجم نثراً فيقول: «وقع على أيدينا سائل آلمنى صياحه وإلحاحه، فخرجت إليه فهويت على رأسه بضربة بعثرت ما بيده مما جمعه طوال يومه، فلما رأى والدى تلك الحادثة اصفرَّ وجهه الأحمر، وانحدرت الدموع نهراً على خديه وقال: –

تذكر يا بنىّ جلال المحشر!

يوم تجتمع أمة خير البشر

وارجع البصر كرةً إلى لحيتى البيضاء؛ ونحول جسمى المرتعش بين الخوف والرجاء.

كنْ يا بنىَّ من البراعم فى غصن محمد (١).

وكُنْ زهرة يُحييها نسيم ربيع (المصطفى)».

● ألا ما أجمل التربية الإيمانية وما أطيب ثمارها وما أعذب الحياة بها وما أحرانا بالأخذ بها والإقبال عليها والتسليم لها، إذن لكان لنا شأن آخر ولأمتنا مستقبل باهر.

* * *

(١) مع إقبال – شاعر الوحدة الإسلامية – للمؤلف – مكتبة النور بالقاهرة ١٩٨٦م.